فيه ما ابتدعه المعتزلة واحدثوا القول به بعد انقضا ايمة السلف ومن المحال
بل قيل والهذيان ان يشترط لصحة الايمان ما لم يعرفوه وهم من فهم فهما عن الله
واخذ عن رسوله وتبليغا لشريعته واتباعا لسنته وطريقته واما البراهين التي
حررها المتكلمون ورتبها الجدليون فانما احدثها المتاخرون ولم يخض في
شي منها السلف الصالحون ومن ثم اختار الغزالي وغيره في العوام الذين لا اهلية
فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها الى يحرم عليهم ذلك ان خافوا منه تمكن
شبهة منهم يعسر زوالها من قلوبهم انتهى فان قلت فما جوابك عن قول
عياض الايمان لا يكفي فيه النطق دون عقد القلب خلافا للجهمية ولا
التقليد خلافا لمن ظنه من الجهلة قلت رده الابي في شرح مسلم بقوله
نسبة القول بكفاية التقليد الى الجهلة مع انه مذهب الاشعري والاكثر
المتكلمين واختاره من المتاخرين الامدي والمقترح والشيخ عز الدين هو
لا تشنيعهم والعذر له انه لم يحفظه الا للمعتزلة كما ان بعض المتكلمين
لم يحكه الا عنهم قال واحتجوا على كفاية التقليد بان اكثر من اسلم في زمنه
صلى الله عليه وسلم لم يكونوا عارفين بالمسايل الاصولية ومع ذلك فقد
حكم صلى الله عليه وسلم بصحة ايمانهم واجاب ابن التلمساني بانه انما حكم
باسلامهم في الظاهر ولا يخفى عليك ضعف هذا الجواب اذ لا يقبل منهم في
الظاهر ويدعهم كفارا في الباطن ولم يثبت انه صلى الله عليه وسلم طلب
احدا منهم بعد ذلك بدليل وانما الجواب منع كونهم مقلدين وقوله لم يكونوا
عارفين بالمسايل الاصولية قلنا ليس من شرط الدليل ان يكون على نظم
الاصوليين بل على طريق العامة والموصلات اليه كثيرة جدا ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما انزل الله من السماء من ما فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون
وامثال هذا في الكتاب العزيز كثير جدا وفي كل شي له اية تدل على انه واحد
فان قلت نحن نجد الفساد في عقايد بعض العوام بالفعل قلت اما الشخص
فهو اعرف بحال نفسه واما غيره فان ظهر له منه ما ينكره وجب عليه
ان يتلطف في اصلاحه مهما توفرت شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وان لم يظهر له منه ما ينكره فليس له ان يظن به السو خصوصا في دينه
بعد تحقق تلفظه بالشهادتين كما قاله بعض العارفين في غالب كتبه
ووجود فساد في عقايد البعض لا يوجب وجوده في عقايد الجميع على ان الجهل من
بعض الوجوه ليس مكفرا كما قدمناه ثم ان وجود الفساد في المقلد
لا يجب ان يكون ناشيا عن التقليد والا لزم ان يكون مثل الجبائي وولده ابي
هاشم مقلدين وهم من هم في ادراك الدقايق وان لم يوفقهم الله لنيل

الحقايق

٣٩

الحقايق كما اشرنا اليه انفا عن قريب قال بعض الشافعية لو ان الله خلق انسانا
اعمى اصم لا حس له سقط عنه النظر والتكليف لتعذر وصول الدعوة اليه
انتهى وهو جار على قاعدة الاشاعرة من كون وجوب المعرفة بالشرع لا بالعقل
فان قلت فما طبت في هذا المحل قلت نعم لاني رايت كثيرا
من الافاضل فضلا عن غيرهم اخذوا بكلام بعض العلما وحكموا بكفر العوام
وضلالهم حتى سالوني عن حل مناكحتهم ومعاملتهم وسمعت بعض من ينتمي
للعلم بل والعمل يقول لمن يقرا القران ويحسن ابوابا من العلم انه كافر لانه
لا يقدر على اقامة دليل على وحدانية الله تعالى وما علموا انه ليس هو
مقصود ذلك البعض الا التشديد والتضييق على الناس شفقة
عليهم التي يحصل لهم العلم والنجاة منه الى العمل بما ورد في النصيحة
تخليصا لهم من الوقوع في العصيان بترك النظر وان غفل عما يلزمه
من وقوع اسا الظن بالمسلمين والحكم بتضليل غالبهم او جميعهم كما وقع
في اثنا كلامه الذي حاول فيه الرجوع الى طريق الجمهور مع وقوع تناقض
فيه عجيب ولفظه وقد استشكل القول بان المقلد ليس بمومن لانه
يلزم عليه تكفير اكثر عوام المسلمين وفي نسخة تكفير اكثر المومنين وهم
معظم هذه الامة وذلك مما يقدح فيما علم من ان سيدنا ونبينا ومولانا
محمدا صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا اتباعا وورد ان امته المنزقة
ثلثا اهل الجنة واجيب بان المراد بالدليل الذي يجب معرفته على جميع
المكلفين هو الدليل الجملي قلنا الجملي بضم الجيم وفتح الميم او اسكانها الذي
يحصل في الجملة للمكلف العلم والطمانينة بعقايد الايمان بحيث لا يقول
قلبه فيها لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته ولا يشترط على الصواب
معرفة النظر على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وترتيبها ودفع الشبه
الواردة عليها ولا القدرة على التعبير عما حصل في القلب من الدليل الجملي
الذي حصلت به الطمانينة ولا شك ان النظر على هذا الوجه غير بعيد
حصوله لمعظم الامة او لجميعها فيما قبل اخر الزمان الذي يرفع فيه العلم
النافع ويثبت فيه الجهل ولا يبقى فيه التقليد المطابق فضلا عن المعرفة
عنه كثير ممن يظن به العلم فضلا عن كثير من العامة انتهى فيا عجبا كيف
يكتفي بالدليل الجملي في دفع ذلك المحظور وينفي التقليد فضلا عن النظر
ممن يظن به العلم فان قلت انما عني عالما في بلد كان متدينا بدين
اهل البدع قلت فلينف ذلك عن الجبائي واضرابه واذا تحققت
قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امري ما نوى يسهل
عليك الحال واسترح منك البال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ولما لم يقع خلاف بين اهل الاسلام في وجوب معرفة الله تعالى وفي وجوب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)